

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني « ٩٢٣-١٣٣٤هـ »
د/ أمال رمضان عبد الحميد

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني

((٩٢٣هـ - ١٣٣٤هـ))

دكتورة/ أمال رمضان عبد الحميد (*)

سبحان الذي اختار محمداً ليكون للعالمين هادياً وبشيراً، ومن مكان مولده مكة أنزل على جبالها قرآناً كريماً وسراجاً مبيناً، وإليها تهوى الأفئدة ليشهدوا فيها شعيرة عظيمة، ألا وهي ﴿حُجَّ الْأَبَيْتَ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

فلا يزال الحج أملاً يراود المسلمين في شتى أنحاء الأرض منذ نداء الخليل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُمِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]. فمن خلال اجتماع المسلمين في هذه البقاع المقدسة غدت مكة مقصداً دينياً وعلمياً وثقافياً لطالبي العلم من شتى الأقطار الإسلامية، وأصبح الحج منذ فرضه الله ﷻ على الأمة المحمدية من أهم الأسباب التي ساعدت على قوة الأمة واتحادها واجتماعها وتعاونها فيما بينها في شتى المجالات، ولعل المجال العلمي أوثقها وأوضحها، وما زالت الأمة الإسلامية - ولله الحمد والمنة - تجني ثمار هذا الركن العظيم حتى وقتنا الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وستبقى منافع الحج تتابع وتزايد باستمرار قدوم حجاج بيت الله الحرام وعمارته الذين أدركوا ما للحج من فوائد ومنافع، فتسابقوا للمشاركة في ركب حجاج بلدانهم يدفعهم إلى ذلك الرغبة في الأجر والثواب من الله ﷻ، ونيل فضائل الحج إلى بيت الله الحرام، ولقد ارتأيت أن أخوض غمار البحث العلمي وأكتب بحثي تحت عنوان:

(دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني) « ٩٢٣هـ - ١٣٣٤هـ ».

(*) باحثة في كرسي الأمير سلمان بن عبد العزيز لدراسة تاريخ مكة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ويهدف البحث إلى إبراز عدة نقاط والتي منها:

- دور الحج في توثيق العلاقات العلمية بين مكة وبلدان العالم الإسلامي.
- بيان دور الحجاج العلماء في المساهمة في نشر العلم من خلال التدريس بالبلد الحرام.

- إبراز دور الحج في بيان حرص الحجاج على طلب العلم الشرعي بمكة.
- بيان دور الحجاج في دعم مسيرة التعليم بمكة.
- التأكيد على دور الحج في تنشيط حركة التأليف بمكة.
- تعدد منافع الحج من خلال رواج مهنة الوراقة وبيع الكتب بمكة.
- ولقد تحصلت خطة البحث على مقدمة السابقة ذكرها، وأربعة مباحث جاءت كالتالي:

المبحث الأول: دور الحج في توثيق العلاقات العلمية بين مكة وبلدان العالم الإسلامي.

- المبحث الثاني:** دور الحج في تنشيط حركة التعليم في مكة.
- المبحث الثالث:** دور الحج في الأنفاق على مسيرة التعليم في مكة.
- المبحث الرابع:** دور الحج في ازدهار حركة التأليف، ورواج بيع الكتب في مكة.
- وقد أنهيت البحث بخاتمة، شملت أهم النتائج والتوصيات.

هذا واسأل الله ﷻ أن يوفقني فيما رمت إليه من خلال هذه المشاركة في بناء لبنة من لبنات تاريخ هذه المدينة المبارك، وهو المولى ونعم الوكيل.

المبحث الأول دور الحج في توثيق العلاقات العلمية بين مكة وبلدان العالم الإسلامي

لقد أدرك حكام مكة وعلماءها دور الحج في توثيق العلاقات العلمية بين مكة وبقية بلدان العالم الإسلامي، ففيه يتم اللقاء بين العلماء فتتناقل العلوم وتتبادل الخبرات، وتأتلف النفوس، لذا كان من عادة أمراء وعلماء مكة استقبال الحجاج العلماء بحفاوة وترحاب وإشعارهم بالأنس والمحبة، وأنهم في بلادهم، فكانوا يجتمعون بهم في موسم الحج، ويتباحثون معهم في أمور فقهية وعلمية متنوعة، إضافة إلى تناول أوضاع العالم الإسلامي، وما يستجد فيه من وقائع وأحداث، فعلى سبيل المثال: تميز مجلس الشريف محمد بن عون باهتمامه على علماء المشرق والمغرب، لتباحث القضايا المستحدثة والفتاوى المهمة^(١).

كما عرف عن الشريف منصور بن يحيى بن مساعد حبه للعلم، وإسداؤه المعروف والفضل للعلماء، وبذله المساعدة والعون لطلاب العلم ومنهم المنقطعين من الحجاج والمعتمرين^(٢).

ولقد شارك علماء مكة أمراؤها بالحفاوة والترحيب بالعلماء العالم الإسلامي والقادمين إلى مكة لأداء فريضة الحج، ففي عام (١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م) حين قدم إلى مكة حاجاً شيخ الأزهر أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري المصري الشافعي، خرج لاستقباله قاضي مكة وعدد من علمائها، وقد تولى الدمنهوري التدريس بالحرم الشريف علومًا شتى منها علم القراءات الذي برع فيه وله فيه مؤلفات كثيرة^(٣).

(١) بلقاسم سعد الله: رحلة ليون روش إلى الحجاز، ج ١، ص ٢٧٧.

(٢) العامودي والكاظمي: مختصر نشر النور والزهر، ص ١٤٨، ٤٢٦.

(٣) الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ٥٢٥؛ بروكلمان: تاريخ الأدب، ج ٨، ص ٣٧٩.

ومن مظاهر العلاقات العلمية والتي عزز من صداها موسم الحج تلك المراسلات المتبادلة بين علماء مكة والعالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال أرسل الشيخ العالم علوي السقاف المكي (ت ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م) رسالة على المؤرخ محمد بيرم الخامس التونسي عام (١٣٠٠هـ / ١٩١٢م)، وكان مضمون الرسالة شكر وتقدير من قبل العالم المكي على تأليف محمد بيرم لكتابه: «صفوة الاعتبار» الذي ألفه عن رحلته للحجاز ومكة^(١)، هذا دليل على اهتمام علماء مكة بالمؤلفات التي تصدر حديثاً في العالم العربي والإسلامي، ووصول هذه المؤلفات إليهم وإطلاعهم عليها.

كما أسهم علماء مكة في نقل العلوم والمعارف من مكة إلى بقية بلدان العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال: قام الشيخ عبد الوهاب الكتبي المكي (ت ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م)، في نقل العلوم والمعارف من مكة إلى الهند والعكس، وذلك عن طريق شراء الكتب والاتجار بها^(٢).

كذلك تأثر الحجاج بالدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد لامسوا صداها في مكة، فعملوا على تطبيقها في بلادهم. فعلى سبيل المثال حين سافر سيد أحمد بريلوي الهندي إلى الحجاز عام (١٢٣٦هـ / ١٨٢١م) تأثر بالدعوة السلفية، وما تنادي به من إصلاح والعودة إلى نبع الإسلام الصافي وترك البدع والخرافات، لذا عندما عاد إلى دياره بدأ في تنفيذ برنامجه الإصلاحية فتنامي أتباعه وتلاميذه الذين عملوا جاهدين على القضاء على البدع والخرافات ونشر الإسلام الصحيح الخالص من الشرك^(٣).

(١) بيرم التونسي: صفوة الاعتبار، ج ٥، ص ١٠١.

(٢) عبد الستار الدهلوي: تحفة الأحباب، ق ٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) سمير عبد الحميد نوح: الأدب الأردني الإسلامي، ص ٣٠٦، ٣١٠.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

كذلك تأثر الحاج تيتو مير أحد علماء البنغال بالدعوة الإصلاحية عندما حج عام (١٢٣٩هـ/١٨٢٣م)، حيث تأثر بالأفكار الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعندما عاد إلى بلاده سنة (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م) بدأ حركته الإصلاحية بين مسلمي المنطقة ودعاهم إلى التمسك بالتوحيد والبعد عن الشرك والبدعة^(١).

كما حمل دعوة الإصلاح ونشر العلم الشرعي الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو، فما أن عاد إلى بلاده بعد أدائه فريضة الحج، ودراسة العلوم الشرعية، أنشأ «شركة الإسلام» عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) وهي أقدم هيئة في إندونيسيا احتضنت الدعوة الإصلاحية وضمنت عدداً كبيراً من العلماء المسلمين وقادتهم^(٢).

كما تأثر بالدعوة الإصلاحية الشيخ شرعت الله البنغالي (ت ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، فحين قدم مكة لأداء فريضة الحج عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م)، فمكث بها لدراسة العلوم الشرعية بالمسجد الحرام، تأثر خلالها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعندما عاد إلى بلاده عام (١٢٣٤هـ/١٨١٨م)، أخذ يدعو إلى الدعوة الإصلاحية، وعرفت دعوته بـ«الحركة الفرائضية» حيث ركز فيها على أداء فرائض الدين^(٣).

كما كان لعلماء ومدرسو مكة أثر في توطيد العلاقات العلمية بينها وبين بلدان العالم الإسلامي، فلقد تميز العالم المكي بالتواضع الجهم، وحسن الخلق مع الجميع، وقد لمس ذلك الحاج الرحالة رفيع الدين المراد آبادي، الذي قدم مكة حاجاً عام (١٢٠٢هـ/١٧٨٧م)، إذ يقول: (جميع أهل مكة .. يتحلون بالأخلاق الفاضلة

(١) سمير عبد الحميد نوح: أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية.

(٢) محمود شاكر: إندونيسيا، ص ١٤٥.

(٣) سمير عبد الحميد: أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، ص ٤٢٠. ٤٢٢.

وبحسن المعاملة، فكبار القوم هنا والعلماء يعاملون المسافرين والغرباء معاملة طيبة، تتصف بالتواضع الجَم، وحسن الخلق، كأنهم لم يسمعوا عن الغرور والكبر مع أنهم من العلماء الكبار، ومن أهل الفضل والشرف^(١).

ومن أروع ما سطر التاريخ من مواقف علماء مكة مع طلابهم الذين عادوا إلى بلادهم بعد أدائهم فريضة الحج وانتهائهم من طلب العلم؛ ذلك الموقف النبيل للشيخ عثمان شطا (ت ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) مع تلميذه أحمد الخطيب، قدم الأخير إلى مكة عام (١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م)، لأداء فريضة الحج، وتلقي العلم الشرعي، على يد عدد من علمائها منهم الشيخ عثمان شطا، ثم سافر بعدها إلى بلاده (جاوه)، وفي ذات يوم سافر الشيخ عثمان شطا إلى بلد الخطيب في بعض أموره، وسأل عن تلميذه النجيب، وقابله، فقص عليه الخطيب أمره، وأنه يريد من شيخه المساعدة في إقناع أهله بالعودة إلى مكة، لمواصلة الطلب، والمجاورة بجانب بيت الله الحرام، وبالفعل قابل الشيخ أهل الخطيب، وأقنعهم بعودة الخطيب إلى مكة لمواصلة تعليمه^(٢).

كما عرف عن مختار بن عطار د البتاوي المكي (ت ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) المدرس بالمسجد الحرام بحبه وتشجيعه لطلبة العلم، فكان يساعد المحتاجين منهم من ماله الخاص، أو ما يجود به عليهم من طعام ومأوى، خاصة المنقطعين منهم من بلاد جاوه، فقد بذل بيته ليكن مسكن لبعضهم^(٣).

وتميز الشيخ صالح بن علوي بن عقيل (ت ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م)، والمدرس بالمسجد الحرام عام باحتضانه العلمي والاجتماعي لطلابيه، فإنه كان يعمل جاهداً

(١) رفيع الدين المراد آبادي: الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص ٩٣.

(٢) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق ٣.

(٣) أبو سليمان: تشنيف الأسع، ص ٥٤٣.

لتوجيههم، وإثارة روح الجد والنشاط في نفوسهم بمناقشتهم والسؤال عن أسباب من يتغيب منهم، ويعود مريضهم ويواسيه، ويحجب داعيهم فقيراً كان أو غنياً، ملجأ طلابه في حل مشاكلهم، سواء الاجتماعية منها أو العلمية^(١).

وتميز الشيخ عمر شطا (ت ١٣٣١هـ / ١٩١٢م) بلبين الجانب مع طلابه والاهتمام بهم فكانت حلقة درسه مملوءة بالطلبة خاصة المبتدئين من أنحاء العالم الإسلامي، فكان يهتم بهم، فبعد الفراغ من الدرس يجلس يسمع لهم ما يحفظونه من المتون، ويصححها لهم، ويلقي لهم المواعظ المفيدة، ويرغبهم في طلب العلم^(٢).

كما تعتبر الإجازات العلمية وسيلة من وسائل توثيق العلاقات العلمية بين مكة وبلدان العالم الإسلامي، ولقد سعى الطلبة إلى الحصول على الإجازات العلمية ممن يأتي من المشايخ للحج أو المجاورة، إذ أن طالب العلم يعرف قدره بمن أخذ الإجازة عنه من المشايخ والعلماء، وإن كثرة الإجازات التي كان يحصل عليها طلاب العلم دليل واضح على الحركة العلمية النشطة بمكة، والتي تظهر مدى حرص الطلبة على التزود بالعلم من جانب، وكثرة العلماء والمشايخ من جانب آخر، فقد تنافس الطلاب للحصول على أكبر عدد من الإجازات العلمية من علماء مكة، أو الوافدين عليها من مجاورين وحجاج ومعتمرين، فعلى سبيل المثال حصل الشيخ عبد الستار الدهلوي على عدد كبير من الإجازات العلمية من أكبر علماء مكة ومن المجاورين فيها والزائرين لها من حجاج ومعتمرين، وقد دونها في ثبت أسماه «نثر المأثر فيمن أدركت من الأكابر»^(٣).

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ١٢١؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ١٤١.

(٢) العامودي والكاظمي: مختصر نشر النور والزهر، ص ٣٧٨.

(٣) وهو مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، تحت رقم: ٨١٠.

أما محدث الحجاز حسن العجيمي (ت ١١٣١هـ / ١٧١٨م) فقد جد في طلب علم الحديث، ولازم الشيخ الثعالبي وسمع منه الكثير، وروى عنه معظم مروياته، ولا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرمين الشريفين إلا جدًّا في لقائه والأخذ عنه فكثرت بذلك مروياته واتسعت مسموعاته^(١).

وعندما قدم العالم الفقيه أحمد بن محمد المصري الشافعي للحج والمجاورة حرص حسن العجيمي على حضور دروسه في المسجد الحرام والاستفادة من علمه، كما حرص على الحصول منه على إجازة بجميع مروياته ومؤلفاته^(٢).

وُمنح عبد الله كوجك (ت ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م) إجازة علمية من محمد ارتضاء العمري الصفوي الهندي (ت ١٢٧٠هـ)، حين قدم من بلاده لأداء فريضة الحج، وقد ذكر الشيخ أنه أجازته بجميع مروياته، وله أن يروي عنه، ويحيزها لمن يراه أهلاً لها^(٣). وحصل عبد الستار الدهلوي من شيخه محمد حقي النازلي (ت ١٣٠٢هـ) المدرس بالمسجد الحرام على بعض الإجازات العلمية منه^(٤).

كما حرص طلبة العلم بمكة على لقاء الشيخ أبي النصر ابن عبد القادر الخطيب الدمشقي الشافعي، والذي كان كثيرًا ما يأتي إلى مكة لأداء فريضة الحج، فيستغل الطلبة قدومه ويلتفون من حوله طلبًا للعلم والإجازة^(٥).

(١) العياشي: الرحلة، ص ٢، ج ٢، ص ٢١٣.

(٢) المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٧٦.

(٣) محمد ارتضاء العمري: مدارج الإسناد، ق ١٥.

(٤) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق ١٤.

(٥) الكتاني: فهرس الفهارس، ج ٢، ص ٥٨٥.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني « ٩٢٣-١٣٣٤هـ »

د / أمال رمضان عبد الحميد

كما تحصل الشيخ عمر شطا على إجازة عامة وخاصة من الشيخ عمر بن عيدروس الحبشي- في سائر علومه ومروياته عام (١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م)، وذلك أثناء مكوث الحبشي بمكة لأداء فريضة الحج^(١).

ولما كانت مكة ملتقى العلماء من جميع بقاع العالم وجسراً ثقافياً ما بين الشرق والغرب، الكل يجتمع فيها على صعيد واحد في بوتقة تمتزج فيها العلوم والثقافة الإسلامية ثم تنتقل إلى كافة أرجاء العالم الإسلامي بغض النظر عن اللون والجنس واللغة والبلد، فالكل مسلمون تجمعهم رابطة واحدة رابطة الدين والإيمان لذا نجد الكثير من الحجاج يغتنم فرصة وجوده بمكة بالالتقاء بإخوانه العلماء من البلدان الإسلامية الأخرى فيأخذ عنهم ويستجيز منهم: فقد اجتمع الحسين بن محمد السعيد الورثلاني الجزائري (ت ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م) صاحب الرحلة الحجازية والذي حج عام (١١٧٩هـ / ١٧٦٥م) بعدد من علماء مكة منهم: عبد الله بن سالم البصري، ومحمد تاج الدين القلعي^(٢).

وحرص محمد بن عبد السلام الدرعي المغربي (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م) أثناء وجوده بمكة على أن يلتقي بأحمد العطار الشافعي (ت ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م) إمام مسجد الجامع الأموي بدمشق والمدرس به، وتباحث معه في بعض المسائل الفقهية والحديثية وطلب منه الإجازة فأجازه^(٣).

(١) إجازة علمية من الشيخ عمر بن محمد شطا للشيخ حسن عبد الرحمن العجيمي

(٢) الورثلاني: نزهة الأنظار، ص ٣٩١، ٤٢٤.

(٣) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج، ص ١٤٠.

- كما التقى أنور بن معظم شاه الحسيني، أحد علماء الفقه بالهند، حين حج عام (١٣٢٣هـ / ١٩١٤م) بمحدث الشام حسين بن محمد الجسر الطرابلسي بمكة وأسند عنه الحديث ثم رجع إلى بلاده ليدرس بها الحديث، فنفع الله بعلمه الطلبة^(١).
- كذلك حرص عبد الحق الكتاني أثناء وجوده بمكة للحج على الالتقاء بالعلماء والأخذ عنهم، ففي حجه عام (١٣٢٣هـ / ١٩١٤م) التقى بعلي بن محمد البطاح الأهدل الزبيدي، وأخذ منه إجازة علمية^(٢).

(١) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج ٨، ص ١١٩٩.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج ٢، ص ٦٩٥.

المبحث الثاني

دور الحج في تنشيط حركة التعليم في مكة

أولاً: دور الحجاج في ممارسة التدريس بمكة:

لما كانت مكة منطلق الإسلام ومشع نوره وثقافته. كانت النفوس كلها تواقه ومتجهة إليها، وقد تعود المسلمون منذ العهد النبوي الأول أن يكون الحرم المكي في موسم الحج موطناً للقاء بين العالم والمتعلم، ومكان التلقي للمعرفة والتفقه، فمكة يفد إليها الجميع من مشارق الأرض ومغاربها، وكل يأتي محملاً بثقافته ومعرفته وعلمه، وتبدأ حلقة اتصال المعرفة من جنابات البلد الحرام، فكان كثير من العلماء يحرص على هذا الملتقى العظيم، حيث يفيد بما عنده، ويستفيد ما قصرت علومه عنه، فيخرج الحاج من هذه الرحلة العظيمة بعظيم الأجر والثواب، وبالمزيد من العلم والمعرفة، مع ما يغرسه العلماء الحجاج في مكة من ثروة كبيرة في العلوم والثقافات. ولقد حرص الكثير من العلماء الحجاج فترة وجودهم بمكة على بث ما لديهم من علوم من خلال عقدتهم للحلقات العلمية أو إلقاءهم للدروس الشرعية بالمسجد الحرام، فعلى سبيل المثال: كان محمد الجوهري المصري (ت ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م)، يتنهل فرصة وجوده بمكة كلما ذهب إليها حاجاً ليعقد حلقاته بأروقة المسجد الحرام حياً في نشر العلم ورغبة في تلبية دعوة طلابه، فحين قدم إلى مكة حاجاً عام (١١٨٧هـ / ١٧٧٣م)، عقد بالمسجد الحرام درساً كان يحضره جم غفير من الطلبة وحين حضر للحج مرة أخرى عام (١١٩٩هـ / ١٧٨٤م) وفدت عليه الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام، للاستفادة من علمه^(١).

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٢، ص ٤٤٠. ٤٤٢.

وتوجه العالم حبيب الرحمن الهندي إلى مكة حاجاً عام (١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م) فبقي بها فترة درس علي يديه عدد كبير من طلاب مكة والوافدين عليها، وخاصة أبناء الجالية الهندية^(١).

ولم يقتصر التعليم على الرجال، فقد شاركت المرأة في ذلك، فكانت الفقيهة المحدثه فاطمة بنت أحمد الزبيرية العراقية (ت ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م) عالمة في الحديث والتفسير والفقه، لها مصنفات منها «شرح صحيح مسلم»، ذهبت إلى مكة لأداء فريضة الحج، فأقامت بها، وتردد عليها عدد من علماء مكة وسمعوا منها وأسمعوها من وراء ستارة^(٢).

ومن لم تتح له الفرصة من الحجاج العلماء في التدريس بالمسجد الحرام لسبب ما سارع بعقد حلقاته العلمية بالمنزل أو الدار، ومن هؤلاء:

العالم المفسر- المحدث الفقيه إمداد الله بن محمد أمين العمر التهاوني (ت ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م)، من الحجاج الذين قدموا مكة، ثم جاورا البيت الحرام، درس بمنزله الفقه والتفسير والحديث، وغير ذلك من معارف وعلوم إلى أن وافته المنية^(٣).

الشيخ أحمد الخطيب الجاوي (ت ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م)، قدم من بلاده حاجاً ثم جاور، كان له عدد من الدروس في منزله، يحضرها الطلبة الجاويون^(٤).

(١) السنوسي: الرحلة الحجازية، ص ١١٧. ١٢١.

(٢) عبد الله البسام: علماء نجد، ج ٦، ص ٥٠.

(٣) العامودي والكاظمي: مختصر نشر النور والزهر، ص ١٣٤.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ٤٢.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني « ٩٢٣-١٣٣٤هـ »

د/ أمال رمضان عبد الحميد

الشيخ إبراهيم بن موسى الخزامي السوداني ، قدم مكة حاجاً عام (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)، ثم قرر المجاورة، طلباً للعبادة والتفرغ لتحصيل العلم، فقرأ على عدد من علماء المسجد الحرام، وأذن له مشايخه بالتدريس فتصدر له بالمسجد الحرام، وبمنزله^(١).

ثانياً: حرص الحجاج على طلب العلم الشرعي في مكة:

لم تقتصر الحياة العلمية في مكة أثناء الحج والعمرة على مسائل المناسك، بل امتدت لتشمل جميع فروع العلم والمعرفة، ويحمل وفد الله من الحجاج والعمار العلوم والمعارف من بلادهم إلى مكة ثم يعودون بعلوم جديدة غلب عليها الطابع الإيماني الذي تلقوه من روحانيات المكان والزمان، مما يكون له الأثر القوي دوماً في ازدهار الحركة العلمية في شتى بلدان العالم الإسلامي.

ولقد تنبه علماء مكة إلى هذه الحقيقة الواضحة، وهي ارتباط وفود الحجاج بالحركة العلمية، ولذا أعد العالم المكي نفسه لهذه المهمة العظيمة، فصار العالم المكي موسوعة علمية متحركة، مشاركاً في علوم التفسير والحديث والفقه والمغازي؛ بل وجمع الكثيرون إلى ذلك الأدب والأنساب والطب.

ولقد حوت كتب التاريخ على أسماء الكثير من الحجاج الذين كانوا يجمعون في رحلتهم إلى مكة نية أداء فريضة الحج مع نية طلب العلم الشرعي، وأخذ من علمائها، ومن ثم العودة إلى أوطانهم لبث ما تحصلوه بمكة من علم، فمنهم على سبيل المثال:

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسعاع، ص ٢٣.

الشيخ المحدث المقرئ محمود بن محمد بن محمد الحلبي حين حج سنة (٩٦٤هـ) حرص على أن يلتقي بعالم الحجاز الشهاب أحمد ابن حجر الهيتمي، وقد أجاز له الهيتمي بالإفتاء والتدريس^(١).

أحمد بن علاء الدين البابلي القاهري (ت ١١٠١)، أحد الأعلام في الحديث والفقه، حج مرات عدة، التقى فيها بالكثير من علماء مكة، واستفاد من علمهم، منهم الشيخ أحمد بن عبد الرؤف وعبد الله بن طاهر العباسي وعلي الأيوبي^(٢).

قاضي القضاة زين الدين زكريا بن محمد القاهري، حج سنة (١٠٥٠هـ) والتقى بالشريف أبي الفتح المراغي وابن فهد والقاضيين أبي اليمن النويري وأبي السعادات ابن زهيرة واستفاد من علمهم^(٣).

علوي بن حسين بن محمد العيدروس، حج، ولازم دروس الشيخ عمر ابن عبد الرحيم المكي كما أخذ عن الشيخ محمد بن عمر الحبشي، وصاهره بابتته، توفي بمكة سنة (١٠٥٥هـ)^(٤).

أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت ١١٢٩هـ/١٧١٧م)، حج عام (١١٢١هـ/١٧٠٩م)، والتقى بمكة بعدد من علمائها وأخذ عنهم منهم: مفتي الأحناف محمد تاج الدين القلعي، والمحدث عبد الله بن سالم البصري، ومؤرخ مكة مصطفى الحموي^(٥).

(١) المحيي: خلاصة الأثر، ج ٢٣، ص ١٢٦.

(٢) المحيي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٤٥٢.

(٣) العيدروس: النور السافر، ج ١، ص ٦٣.

(٤) المحيي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ١٥٩.

(٥) التازي: رحلة الرحلات، ج ١، ص ٢٦١.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

أحمد بن مصطفى بن أحمد الاسكندري (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨ م) من علماء مصر، حج، وأخذ الحديث عن عدد من علماء مكة أمثال النخلي وعبد الله البصري^(١).

محمد هاشم السندي (ت ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠ م)، شد رحاله من الهند صوب مكة لأداء فريضة الحج، والتقى بعدد من علمائها، ودرس على أيديهم الفقه والحديث، منهم: عبد القادر بن أبي بكر الصديقي المكي مفتي الأحناف بمكة^(٢).

أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي (ت ١١٧٥هـ/ ١٧٦١ م)، حج، والتقى بمكة بالمشايخ فسمع منهم وأجازوه، أمثال: محمد بن الطيب المغربي^(٣).

مفتي الشام محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١ م)، قدم من دمشق لأداء فريضة الحج، أجازه الكثيرون من علماء مكة أمثال: محمد سعيد سنبل ويحيى العجمي، ومحمد عابد سندي، ومحمد بن محمد سعيد سنبل^(٤).

عبد اللطيف بن أبي الحسن الويلوري (ت ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢ م)، من علماء الهند، حج، والتقى بعدد من علماء مكة، وأخذ عنهم، ثم رجع إلى بلده وجلس للتدريس والتأليف^(٥).

(١) محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق، ج ٢، ص ٤٨٨.

(٢) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج ٧، ص ٨٤٢.

(٣) الفاسي: تذكرة المحسنين، ج ٥، ص ٢٢١٤.

(٤) محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق، ج ١، ص ٥٦.

(٥) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج ٧، ص ١٠٣٣-١٠٣٤.

عبد الرحمن بن محمد الكزبري (ت ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م) من علماء دمشق دخل مكة حاجاً، والتقى بها بعدد من علمائها منهم: عبد الملك بن عبد المنعم المفتي، ومحمد وطاهر بن سعيد سنبل^(١).

عبد السلام بن عبد الرحمن الدمشقي، إمام الحنابلة بالجامع الأموي، حج عام (١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م) وعام (١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م) واستجازه كمال بن عبد الله المكي الحنفي رئيس المدرسين بالمسجد الحرام وكتب له الإجازة بخطة^(٢).

إبراهيم بن عبد العلي بخش الهندي، قدم مكة حاجاً، أخذ الحديث عن عدد من علماء مكة، منهم: أحمد زيني دحلان وأحمد بن أسعد الدهان، ولما عاد إلى بلاده أسند الحديث عن هذه الثلة العلمية، وأسس مدرسة ببلاده على نهج مدارس مكة وذلك عام (١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م)^(٣).

(١) محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها، ج ٢، ص ٤٨٨.

(٢) محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها، ج ٢، ص ٧٣٥.

(٣) فخر الدين: أترك بلغار وقزان، ج ٦، ص ٨٣٧.

المبحث الثالث

دور الحج في الإنفاق على مسيرة التعليم في مكة

لقد كان للحجاج العلماء منهم والأثرياء أثر في دعم المسيرة التعليمية بمكة وذلك من خلال الإنفاق على طلبة العلم ومراكز التعليم بها، أو بناء المؤسسات التعليمية كالمدارس والكتاتيب، أو إنشاء الأربطة لسكنى العلماء وطلبة العلم، أو المساهمة في توفير الكتب وإنشاء المكتبات ويؤكد على دور الحجاج الإيجابي في هذا الأمر الرحالة يغيث ريزفان إذ يذكر أنه توجد بمكة فترة البحث: (كثرة من بيوت الأوقاف تبرع بها الحجاج الأغنياء لاستعمالها بصفة مدارس دينية أو على الأرجح بصفة «تكيات» أي بصفة مساكن في زمن الحج للحجاج من أبناء القومية التي يتنسب إليها المتبرع، وهكذا توجد تكيات هندية وماليزية وقشغرية وأفغانية وقازانية وقرغيزية والخ...) (١).

فمن المدارس التي ساهم الحجاج في إنشاءها وكان لها دور في المسيرة التعليمية بمكة:

- **المدرسة الصولتية**، وهي من أوائل المدارس الأهلية النظامية بمكة، والتي كانت لها بصمات واضحة في العملية التعليمية بها، أنشأها الشيخ محمد رحمت الله الهندي، الذي قدم مكة من بلاده حاجاً عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، أذن له بالتدريس في المسجد الحرام، تقديرًا لفضله واستفادة من علمه، ولما رأى أنه لم تكن هناك دراسة منهجية أو مدرسة في مكة، قام بتأسيس أول مدرسة على نفقته، وقد قيد الله للمدرسة العديد من الحجاج المحسنين الذين ساهموا في توسعتها، ووقف الأوقاف

عليها لضمان بقائها، فقد تبرع أحد أمراء الهنود الذين قدموا للحج ثم جاورا ببعض الأماكن من داره للمدرسة، وفي عام (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) جاءت لأداء فريضة الحج سيدة هندية ثرية من مقاطعة كلكتا تدعى صولت النساء وأبدت رغبتها في بناء رباط بمكة، فأوحى لها الشيخ أن بمكة العديد من الأربطة، وما ينقصها هو مدرسة تعنى بتعليم أبناء المسلمين، فاستحسن صولت النساء هذا المشروع التعليمي الخيري، وقامت بدفع الأموال اللازمة، لإقامة هذا الصرح العلمي، فاشترى قطعة أرض بحارة الباب وبنى أول بناية للمدرسة وكمل البناء عام (١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)، وسميت المدرسة باسم المدرسة «الصولتية» نسبة إلى المحسنة المتبرعة، وقد أقامت المدرسة مبنى لطلاب القسم الداخلي يسكن فيه العديد من الطلبة من جنسيات إسلامية وعربية مختلفة كالعراقية واليمنية والسورية والتركية والإيرانية والهندية والإندونيسية والأفغانية والبخارية^(١).

- مدرسة دار الفائزين: أنشأها الشيخ الحاج عبد الخالق محمد حسين البنغالي، بحي المسفلة عام (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، وأوقف عليها عدة دور، ينفق من إيجارها على المدرسة، وسميت بـ«المدرسة الإسلامية»، نسبة إلى مسقط رأس مؤسسها بإسلام آباد، وقد وجدت المدرسة الدعم المادي من قبل أهل الخير وخاصة من مسلمي الهند، فعلى سبيل المثال تبرع دولابينباري البنغالي عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) بدار

(١) بغدادي: الانطلاقة التعليمية في المملكة، ص ٢٤١. في صباح يوم الثلاثاء ١٣/٥/١٤٣١هـ أزيلت المدرسة مع ما أزيل من حارة الباب وحي الخندريه لصالح توسعة الساحات الشمالية للمسجد الحرام، وانتقل المدرسة إلى حي الكعكية على خط الليث / اليمن في مبنى مستأجر وبدأت الدراسة فيه يوم السبت ١٣/٣/١٤٣١هـ ويقدر عدد الطلاب فترة كتابة البحث ما يقرب من ٨٠٠ طالب ويدرس بها طلاب من جميع المراحل للتعليم العالي يمثلون ٣٢ جنسية.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني « ٩٢٣-١٣٣٤هـ »

د/ أمال رمضان عبد الحميد

كبيرة للمدرسة ليتم تأجيرها والإنفاق من ريعها على المدرسة^(١)، وحين ألت نظارة المدرسة إلى عبد الستار أبو طالب الميمني غير اسمها إلى «مدرسة دار الفائزين»^(٢).

كما كان لكثير من أثرياء العالم الإسلامي المحبين للعلم والمشجعين له الأيادي البيضاء في إنشاء الكتاتيب بمكة، فكثير منهم حين قدم مكة لأداء فريضة الحج دفعته الرغبة في التقرب إلى الله بصالح الأعمال، فكان أن هداه الله إلى إنشاء الكتاتيب التي تعنى بحفظ القرآن الكريم للناشئة، وبالتالي تخرجت أجيال من شباب المسلمين حملة لكتابه العزيز، هو منهجهم وشريعتهم، ولقد حفلت كتب التاريخ على أسماء العديد من هؤلاء الذين أسهموا في البناء أو الصرف على الكتاتيب بمكة، منهم:

مراد باشا، الذين دفعهم حب العلم والمعرفة، وخدمة أطفال المسلمين إلى إنشاء كتاب بمكة، أوقف عليه أوقاف عظيمة بمصر، كانت ترسل أموالها سنوياً مع الصرة لتصرف على الكتاب والطلبة^(٣)، كما أنشأ عيسى أفندي كتاب بمكة وجعل عليه أوقافاً في مصر يصرف ريعها في الإنفاق عليه، ترسل مع الصرة كل عام^(٤).

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص ١٣٦.

(٢) كثيراً ما كانت المدرسة تغلق أبوابها لتراكم مشاكلها المالية والإدارية، على أن سلمت نظارتها لناظر دار الحديث الخيرية بموجب صك شرعي صادر من المحكمة الكبرى بمكة، برقم ٥٨٤ وتاريخ ١٤١٧/٧/٢٣ هـ فقامت دار الحديث بمجهودات حثيثة للنهوض بدار الفائزين منها تنمية أوقافها مما كفل للمدرسة الموارد المالية للصرف عليها، وهي تابعة لمدرسة دار الحديث الخيرية بمكة والقائمة بمنطقة العوالي. تقرير عن المدرسة أمدنا به الدكتور المهندس خالد حمزة المسئول عن (إدارة المشاريع الهندسية لمدرسة دار الفائزين ودار الحديث الخيرية).

(٣) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، رقم ٦٠، حفظ نوعي ٣٥٩، م ٥٦٠٢ ع ٧٢، مخزن تركي ١.

(٤) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، رقم ١١٧، عمومي ٤٥٣١، مخزن ١.

كذلك أنشأ الشيخ عبد الهادي المصري حين أتى مكة لأداء فريضة الحج، ثم استقر بها كتاباً لتعليم القرآن الكريم للرجال والصبيان، كما اشتغلت زوجته بتعليم النساء والفتيات القرآن الكريم، وأقبل الناس عليهما، وكان الشيخ عبد الهادي رجلاً كريماً، يصرف كل ما يصل يده من الدراهم على المحتاجين وطلبة العلم^(١).

كما أسس الشيخ فرج بن عبد الله السوداني كتاباً بمكة حين قدم إليها من بلاده حاجاً في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي^(٢).

كذلك تسابق المحسنين من الحجاج والمعتمرين في بناء الأربطة الخيرية لسكنى طلبة العلم الوافدين على مكة، والمنقطعين للدراسة، إيماناً منهم بأهمية العلم والتعلم، فعلى سبيل المثال: أوقف إبراهيم بن عبد الستار الميمن عام (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)، رباطاً في زقاق جبل أبي قبيس، على فقراء الهند والسند من أهل العلم والصلاح^(٣). ومن سكن الرباط من العلماء الحجاج والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي الشيخ علي الجبرتي، والذي قدم مكة عام (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)، فسكن رباط الميمن، وكان من العلماء الأفاضل الذين أفادوا طلبة العلم بمكة^(٤). كما أوقف الحاج معير واجد حسين عام (١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م)، رباطاً بحى الخندريسة^(٥)، على المدرسة الصولتية ليكون سكناً للطلاب الغرباء فيها^(٦). وقد تميز هذا الرباط بكبر مساحته وسعة حجمه، إذ إنه يتسع لخمسين طالباً لكل طالب غرفة خاصة به، كما كانت تأتيه مساعدات وتبرعات

(١) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق ٣.

(٢) حسين عبد الله باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص أ.

(٣) حسين شافعي: الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٧٩.

(٤) العامودي والكاظمي: مختصر نشر النور والزهر، ص ٣٥٢.

(٥) مغربي: أعلام الحجاز، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٦) محمد سليم محمد سعيد: أكبر مجاهد في التاريخ، ص ٦٥.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

من مسلمي الهند^(١). كذلك أوقف رحيم بيردي الأندجاني عام (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م)، رباطاً بحمي المسفلة، ونص على أن يكون على الحجاج الواردين إلى بيت الله الحرام من أهل اندجان، والمجاورين بمكة من أهل اندجان، فإذا انقضوا عن آخرهم يكون وفقاً على مصالح الحرم المكي الشريف^(٢).

كما سارع الحكام والأمراء والأثرياء ببناء التكايا بمكة، إسهاماً منهم في تخفيف أعباء المعيشة على المنقطعين من طلبة العلم، وخاصة الحجاج والمعتمرين الذين قد تقصر بهم النفقة، فلا يستطيعون إعانة أنفسهم على طلب العلم، ومن أبرز التكايا بمكة، والتي كان لها دور إيجابي في إثراء الحياة العلمية، بما كانت من هبات وصدقات ترسل سنوياً إليها من مصر. مع الصرة^(٣) «التكية المصرية»: شيدها تكية محمد علي في مكة عام (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م) بشارع أجياد، كان لها دور بارز في التكافل الاجتماعي بمكة، إذ كان جميع موظفيها في خدمة الفقراء سواء فقراء مكة أو القادمين إليها من الحجاج، فيصرف لهم الخبز والقمح والأرز والسمن واللحم والحمص^(٤).

كما كان للوقف دور رئيس في وجود المكتبات، حيث درج الحكام والعلماء وأهل الخير من الحجاج والمعتمرين أن يوقفوا الكثير من الكتب ابتغاء مرضاة الله وثوابه، وكان وقف الكتب يسهل على بعض العلماء والباحثين البحث والتعلم، لكونها مبدولة للجميع، فاستغنى بعضهم خاصة الحجاج والمعتمرين من طلاب

(١) محمد سليم رحمت الله: المدرسة الصولتية، ص ٤١٢.

(٢) محمد سليم رحمت الله: المدرسة الصولتية، ص ١٠٠-٩٩.

(٣) سلنامة ولاية الحجاز، ع ١، س ١٣٠هـ، ص ٦٥؛ إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ١٨٥-١٨٦.

(٤) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ١٨٥-١٨٦.

العلم عن شراء الكتب، ولا سيما إذا كانوا فقراء، فاستفادوا من هذه الكتب بالمطالعة في أماكنها.

ولقد استفاد الكثير من العلماء وطلبة العلم المقيمين بمكة أو الوافدين عليها من الحجاج والمعتمرين بمكتبة الحرم المكي الشريف، فاطلعوا على ما فيها من كتب، أعانت الكثير منهم في تحصيل العلم إن كانوا من طلبته، أو مساعدتهم في تحضير الدروس إن كانوا ممن جلس للتدريس بالمسجد الحرام، فيذكر مؤلف رحلة «نشر- الأعلام بإتمام المرام في ذكر مراحلنا من مصر- والحجاز والشام» السيد محمد بن علي ابن أحمد الأندلسي- الرباطي في رحلة حجه عام (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) أنه زار خزانة الكتب التي بالحرم قرب باب السلام، وأن نوافذها تطل على الكعبة، وقد وقف فيها على عدة كتب، ولاحظ أن الخزانة مفروشة ومعدة لمن أراد أن يطالع أو ينسخ^(١)، ولقد زارها الرحالة البتوني عام (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) وذكر أنها مرتبة، وجميلة، ويشرف على إدارتها أمين خاص، وأنها تحتوي على «٤٥٦٩» كتاباً في موضوعات متنوعة، أهمها العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وأكثرها مكتوب باللغة العربية، وتوجد بها كتب بلغات أخرى كالعثمانية والأردية والفارسية^(٢).

(١) التازي: رحلة الرحلات، ج ٢، ص ٥٩٤.

(٢) البتوني: الرحلة الحجازية، ص ٢٥٥. هذا وقد استمرت مكتبة الحرم في أداء رسالتها الخالدة من نشر العلم والمعرفة، وتجي دورها العلمي والتعليم في عهد الحكومة السعودية، حيث أولى الملك عبد العزيز عنايته واهتمامه بالمكتبة وزودها بالكتب والمخطوطات والدوريات، وقد سار أبناؤه من بعده في الاهتمام بالعلم والتعليم ومن ضمنها مكتبة الحرم، كونها مركزاً من مراكز الإشعاع الفكري للعالم الإسلامي، ولمعرفة المزيد عن رعاية الحكومة السعودية بمكتبة الحرم انظر: ابن دهبش: المكتبات في مكة المكرمة، ص ٥٤.٢٧.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني « ٩٢٣-١٣٣٤هـ »

د/ أمال رمضان عبد الحميد

وتعدد الكتب التي تحويها المكتبة، وتعدد لغاتها، يعود إلى الاهتمام والعناية التي يوليها القائمون على المكتبة، وإلى توفير كتب بلغات عدة خدمة لحجاج بيت الله الحرام وعماره من المسلمين والذين لا يجيدون قراءة اللغة العربية.

ولقد أهدى العديد من العلماء الحجاج كتبهم لمكتبة الحرم المكي الشريف، فعلى سبيل المثال: ممن أوقف مكتبته من الحجاج على مكتبة الحرم الحاج المجاور عبد الحق الهندي (ت بعد ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م)^(١).

كما أهدى الشيخ شعيب الدكالي (ت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م) كتبه لمكتبة الحرم المكي الشريف حين عاد إلى بلاده المغرب^(٢).

وكذلك انتقلت مقتنيات مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي (ت ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)، لمكتبة الحرم، وقيل أنها بلغت « ١٧١٤ » كتاباً بين مطبوع ومخطوط، وقيل ١٨٥٠ كتاباً^(٣).

أيضاً مكتبة الملا مراد رمزي، وهي مكتبة خاصة أسسها العالم الملا مراد رمزي في داره عندما قدم مكة من بلاده قازان عام (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م) لأداء فريضة الحج، ثم قرر البقاء بمكة، فمكث بها خمسة وعشرون عاماً طالباً للعلم، كون مكتبة عامرة احتوت على العديد من المخطوطات

(١) ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص ١٨٩؛ محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص ٩٩.

(٢) محمد عمر رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص ٢٠٣.

(٣) أبو سليمان: تشنيف الأسماح، ص ٣٠٣؛ بن دهيش: المكتبات في مكة، ص ٣٨. والوصية التي كتبها عبد الستار دهلوي والمتضمنة وقف مكتبته على مكتبة الحرم المكي الشريف محفوظة بمكتبة الحرم المكي تحت رقم: ٤١٢٥.

الإسلامية النادرة، وبعض الكتب الإسلامية القيمة، عاد إلى بلدة عام (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م)، بعد أن أوقف مقتنيات مكتبته على مكتبة الحرم^(١).



(١) رفيق شاه: عظماء التتار، ص ٦٤؛ ابن دهب: المكتبات الخاصة بمكة، ص ٣٧.

المبحث الرابع

دور الحج في ازدهار حركة التأليف، ورواج بيع الكتب في مكة

أولاً: دور الحج في ازدهار حركة التأليف

لقد كانت الهدية التي يجلبها العالم معه من رحلة الحج هي تلك التي كانت تترك في النفوس الأثر الباقي والذكرى الجميلة ألا وهي الكتاب، لذلك اهتم الحجاج بأن يؤلفوا الكتب في رحاب الحرم المكي الشريف؛ ليعودوا بها إلى أوطانهم باعتبار أن هناك ذكرى خاصة لكل كلمة وسطر كتب في الأماكن المقدسة، وقد شجعهم على التأليف والتصنيف ذلك الجو الروحاني الذي امتازت به مكة وخاصة المسجد الحرام، فوجد الحاج في تلك البقعة الطاهرة الهدوء والسكينة، فطمأنت نفسه وصفى ذهنه فاشتغل بالتأليف والتصنيف، وممن وقفت عليهم من علماء اشتغلوا بالتأليف فترة مكوثهم بمكة لأداء فريضة الحج: أحمد بن نعمان بن محمد الإيجي الدمشقي، حج سنة (١٠٦٤هـ)، وجاور وعمل شرحاً على «سقط الزند» لأبي العلاء المعري، وصدره بقصيدة من نظمته^(١).

وحين توجه العالم حبيب الرحمن الهندي إلى مكة حاجاً عام (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) قام بتأليف كتاب ضمنه رحلته لمكة والمدينة^(٢).

وقام الشيخ عبد السلام بن أحمد الفاسي المغربي (من علماء القرن ١٢هـ/ ١٨م) بالعكوف على تجميع بعض الأدعية النبوية والتي وصلت إلى نحو كراسة ونصف أثناء مقامه بمكة لأداء فريضة الحج^(٣).

(١) المحيي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٨٢.

(٢) السنوسي: الرحلة الحجازية، ج ٣، ص ١١٧. ١٢١.

(٣) الأزهرى: طبقات المالكية، ص ١٥١.

كما عكف العالم المحدث أحمد بن أبي سعيد الهندي (ت ١١٣٠هـ / ١٧١٧م) على تأليف عدد من المصنفات في علوم مختلفة منها كتاب «السوانح»^(١).

وألف عبد الوهاب بن أبي البركات الشافعي المصري عام (١١٤٩هـ / ١٧٣٦م) كتابه «التيسير لمريد التفسير» وذلك أثناء مقامه بمكة حين توجه لها من مصر. لأداء فريضة الحج^(٢).

وقام عبد الحي بن هبة الله الهندي حين سافر حاجاً إلى مكة سنة (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م) بتعريب كتاب «الصراط المستقيم» لأهل الحرمين^(٣).

ولأحمد رضا بن نقي علي الأفغاني عدة مؤلفات قام بتأليفها بجوار البيت الحرام أثناء حجه، منها: «كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم» الذي ألفه في مكة عام (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)^(٤).

واختصر - محمد بن عبد الحي الكتاني المغربي وهو محرم بمنى عام (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥) كتاب: «النفح المسكي» بحضور صاحبه أبي الخير أحمد بن عثمان العطار^(٥).

وصنف أحمد بن إبراهيم بن حمد النجدي (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) الذي حج بيت الله الحرام كتاب «الرد على ما جاء في خلاصة الكلام من الطعن على الوهابية والافتراء لدحلان»^(٦).

(١) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج ٦، ص ٦٩١.

(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٩، ص ٦٩.

(٣) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج ٥، ص ٣٤٣.

(٤) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج ٨، ص ١١٨١. ١١٨٢.

(٥) الكتاني: فهرس الفهارس، ج ٢، ص ٥٨٥.

(٦) محمد بن عثمان: روضة الناظرين، ج ١، ص ٧١.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

كما ظهر نوع من التأليف يتعلق برحلة الحج عرف بـ«أدب رحلات الحج» أسهم فيه العديد من الرحالة والعلماء الحجاج، حيث دونوا فيه تفاصيل رحلاتهم الحجازية، وما وقع فيها من أحداث، وما لاقوه من صعاب وشدائد، ومن التقوا به من علماء، وما تدارسوه من كتب، أو تحصلوه من أجازات علمية، كما اعتنوا بتسجيل كل ما كانوا يشاهدونه بمكة، فقدموا معلومات في غاية الأهمية عنها سواء كانت اجتماعية أو تاريخية أو اقتصادية أو جغرافية أو علمية، وغدت رحلاتهم مصدر من مصادر تاريخ مكة.

ومن دون رحلاته إلى مكة، وكانت شاهداً له على أدائه لفريضة الحج والتقائه بعلماء مكة والأخذ عنهم، أو مساهمته في التدريس بمسجدها الحرام، الشيخ العالم أحمد بن محمد بالهشتوكي المغربي (ت ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م) حج والتقى بمكة بعدد كبير من علماء المشرق ومنهم علماء الحرم المكي، وقد ضمن ذلك رحلته الحجازية المسماة «هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام»^(١).

كما أن أبو محمد عبد المجيد الزبادي المنالي الفاسي (ت ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م) رحل من فاس إلى مكة عام (١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م) بنية الحج، التقى بشيوخ مكة وأخذ عنهم عدداً من العلوم، وقد ذكر ذلك في كتابه المتضمن رحلته والمسمى «بلوغ المرام بالرحلة إلى البيت الحرام»^(٢).

ومن بلاد البوسنة والهرسك قدم قاضي سراييفوا الحاج مصطفى بوسنوي (ت ١١٦٤هـ/ ١٧٤١م) إلى مكة لأداء فريضة الحج عام (١١٦١هـ/ ١٧٤٨م)، وقام

(١) الترغي: فهارس علماء المغرب، ص ٦٦٠.

(٢) الترغي: فهارس علماء المغرب، ص ٦٧٠؛ التازي: رحلة الرحلات، ج ١، ص ٣١٨.

بتدوين رحلته نظماً موزوناً بديعاً، وقد أطلق على رحلته اسم «دليل المناهل ومرشد المراحل» لتكون الرحلة مرشدة لأهل بلده وغيرهم الذين يريدون أن يذهبوا إلى الحج^(١).

كما سجل رفيع الدين المراد آبادي الهندي الذي توجه إلى الحج عام (١٢٠١هـ/١٩٨٧م)، رحلته ومشاهداته ولقاءه بعلماء مكة وأعلامها في كتاب سماه «مشاهدات حرمين شريفين»^(٢).

وأما محمد بن عبد السلام الدرعي المغربي (ت ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م)، فقد حج مرتين إحداهما عام (١١٩٦هـ/١٧٨١م) والثانية عام (١٢١١هـ/١٧٩٦م) ألف في حجته الأولى «رحلته الكبرى» وهي من أوسع الرحلات وأوفاهها، أما عن حجته الثانية فقد ألف «الرحلة الصغرى»، وقد ذكر في «رحلته الكبرى» العلماء الذين التقى بهم في مكة وأخذ عنهم^(٣).

ومن دون رحلته الحجازية أيضاً أحمد العربي الوزاني المغربي (ت ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) حج عام (١٢٦٩هـ/١٨٥٢م) فدون رحلته وسماها «الرحلة الوزانية الممزوجة بالمناسك المالكية» أشار فيها إلى من لقيهم وأخذ عنهم من العلماء بمكة^(٤). كذلك قام محمد صادق باشا بزيارة الأراضي الحجازية عدة مرات والتي منها حجه عام (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م) وعام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) وذلك عندما كان أميناً لصرة المحمل، وسجل وقائعها في كتابه «مشعل المحمل وكوكب الحج»، وقد

(١) محمد الأرناؤوط : صورة مكة في رحلات الحج للبشائقة، ص ٧٢٩.

(٢) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج٧، ص ٩٧٤.

(٣) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج، ص ١٣٨؛ الترغي: فهارس علماء المغرب، ص ٦٦٢.

(٤) الفاسي: تذكرة المحسنين، ج٧، ص ٢٦٢٩.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

أضافت رحلاته العديد من المعلومات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية القيمة في تاريخ الحجاز عامة ومكة خاصة^(١).

وحين قرر الحج الرحالة محمد يحيى الولاقي المغربي (ت ١٣٣٠هـ / ١٩١١م)، قام بتسطير مشاهداته وتدوين ملاحظاته، فاجتمع لديه مؤلف عن رحلته سماه «الرحلة الحجازية»، والتي قام بها سنة (١٣١١هـ / ١٨٨٣م)، وكان الجزء الخاص بمكة أقرب ما يكون إلى مرشد للمعتمر ودليل للحاج؛ حيث سجل فيها مناسك الحج وتبعتها تتبعاً دقيقاً، وأورد جميع الأدعية الماثورة، موضحاً المواقع التي تقرأ بها مفصلاً القول في ذلك^(٢).

كما سجل وقائع رحلته محمد لبيب البتنوني حين قدم للحج عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م)، وقد أطلق عليها: «الرحلة الحجازية» أعطى فيه وصفاً دقيقاً عن الحجيج وظروف حجهم ووصف مدينة مكة ومنازلها وأسواقها والحالة الأمنية بها خلال أيام الحج^(٣).

وحين سافر حاجي محمد منصب خان الهندي إلى الحجاز عام (١٢٨٧هـ / ١٨٧١م) لأداء فريضة الحج، دون مشاهداته في رحلة سماها «ماء مغرب» وتعد هذه الرحلة مرشداً لمن يسافر من الحجاج الهنود إلى منطقة الحجاز^(٤).

ثانياً: دور الحج في رواج الوراقة وبيع الكتب بمكة:

لقد تجمعت عدة أسباب ساعدت على رواج مهنة الوراقة بمكة، والتي منها:

(١) محمد صادق : الرحلات الحجازية ، ص ١٣. ١٤.

(٢) محمد فال: صفحات من تاريخ الرحالة الموريتانيين لأرض الحرمين، ص ٨٢.

(٣) انظر الرحلة

(٤) سمير نوح: أدب الحج في القارة الهندية ، ص ٣٣٣.

حركة التعليم النشط نتيجة إلى كثرة نزول العلماء والطلاب بمكة مجاورين وحجاجًا، كذلك كثرة مصنفات العلماء بها، كذلك رغبة الحجاج في شراء الكتب النفيسة من مكة وقد يكون ذلك لانعدامها في بلدانهم، أو تبركًا بشراء العلم الشرعي الذي هو أشرف العلوم من أشرف البقاع، فيكون ذلك تذكيرًا لهذه الرحلة المقدسة، وفي هذا الصدد يذكر بوركهات أنه رأى بمكة كتبًا يشتريها الحجاج بمبالغ كبيرة^(١).

ويقول عبد العزيز دولتشين الذي كان بمكة عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) إن: (الكتب والرسوم التي يشتريها الحجاج يوزعونها في شتى أقطار المعمورة، وعندنا في آسيا الوسطى نجد منها الكثير، كما هو معلوم، وذلك في الجوامع وفي منازل السكان)^(٢).

وفي هذه النصوص تأكيد على أن سوق الكتب كانت رائجة في مكة وذلك لوجود المشتري لها من كل أنحاء العالم، فهو أثر إيجابي للاهتمام بالنسخ والوراقة. ودليل على مدى تأثير الحج في تنشيط الحياة العلمية بمكة. وكذلك انتشار العلوم المكية للعالم الإسلامي.

ولقد انتشرت حوانيت الوراقين أمام وحول أبواب الحرم المكي الشريف؛ كباب السلام وباب العمرة وباب الزيادة وباب إبراهيم^(٣). والظاهر أن منطقة المسعى كانت أكثر المناطق تجارة في الكتب، حيث إن أكثر الحجاج والمعتمرين كانوا يدخلون الحرم لطواف القدوم من باب السلام، فإذا انتهوا من مناسكهم وجدوا ما يحتاجونه من مصاحف وكتب.

(١) بوركهات: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ١٩٥. ١٩٦.

(٢) ريزفان: الحج قبل مائة سنة، ص ٣٠٩.

(٣) أبو سليمان: العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز، ص ٤٣.

وعمل بالوراقة طائفة من الحجاج والمجاورين، أسهموا في إنعاش حركة الوراقة وبيع الكتب، فكثير منهم وجد أن الوراقة أنسب الأعمال التي يمكن أن يمتنعها أحدهم، دون أن يعرض نفسه للامتهان، أو يحتاج إلى أخذ إذن أو تصريح كما هو الحال بالنسبة للتدريس، أو يحتاج إلى رأس مال للتجارة، فكانت الوراقة أنسب ما يجده هؤلاء، ولا سيما أن ربحها مناسب للإعالة والبقاء بمكة بكريم العيش.

كما أن الوراقة لا تعتمد على جهد بدني كبير، ويمكن تعاطيها في أي مكان، فيمكن للوراق أن يقوم بعمله في بيته، مع رخص أسعار الورق وأدوات الكتابة، فكان هذا مدعاة لاشتغال عدد من أصناف الناس بها، ولا سيما الحجاج والمجاورين، حيث كانت الوراقة مهنة تناسب أرض مكة التي لا تشتهر بصناعة، وهي فقيرة في الزراعة، ولا يحسن التجارة كل أحد. وقد أشار بوركهاتر إلى ما تحققه مهنة الوراقة من ربح فقال: (قد أخبرني بعض المكيين أن تجار الكتب كانوا قد تعودوا فيما مضى أن يأتوا إلى هنا مع الحجاج قادمين من اليمن، وكانوا يبيعون كتباً قيمة، جلبوها من صنعاء ولحبة خاصة،...، وقد كان أمراً دعائياً للدهشة أن أهل مكة الأذكياء لم يتاجروا في الكتب وإن كان الاتجار فيها لا يحقق ربحاً كبيراً، كالربح الذي يحصلونه من الاتجار في البن والبضائع الهندية)^(١).

ومن عمل بمهنة النسخ من الحجاج: مصطفى بن محمد بن سليمان العفيفي، من علماء مصر، قدم مكة حاجاً في حدود (١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م)، عازماً على إكمال مسيرته العلمية على مشايخها، غير أن ضيق ذات اليد جعلته يتعيش بالكتابة ليستعين

(١) بوركهاتر: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ١٩٥، ١٩٦.

بها على نفقات معيشتة، وإكمال تعليمه وتحصيله، فامتنه الوراقة، وراح يكتب بخطه الحسن الكثير من الكتب، والتي تميزت بجمال خطها ودقة ضبطها وإتقانها^(١).

كما امتنهنها جعفر بن قامس الداغستاني (ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م)، قدم مكة لأداء فريضة الحج، ثم استوطنها، وقرأ العلم على عدة مشايخ، اتخذ من الوراقة حرفة له، كتب بها الكثير من الكتب^(٢).

ونسخ الحاج محمد رضا بن مصطفى بن أحمد حين كان في مكة عام (١٢٣١هـ / ١٨١٥م) عددًا من الكتب منها كتاب «وسيلة الطلاب لمعرفة أعمال الليل والنهار بطريق الحساب في الفلك» ليحيى بن محمد بن محمد الخطاب (ت ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م)^(٣).

وهكذا أسهمت حرفة الوراقة والتي امتنها المكيون والحجاج على حد سواء في حفظ التراث الإسلامي والمكي بنسخ الكتب القديمة، كما أنها أسهمت في نقل العديد من الكتب العلمية إلى الكثير من بقاع العالم لم يكن ليعلم بوجودها أحد، أو يحلم باقتنائها طالب علم، لندرتها وصعوبة الحصول عليها، وجهل الكثيرين بها، فكثير من المخطوطات التي نقلها الحجاج كانت لها أثرها العلمي في الآفاق بوجه ما، فمثلاً قام المستشرق الهولندي سنوك هورغرونييه والذي زار مكة سنة (١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م) وبقي فيها ستة أشهر حتى نهاية موسم الحج، باقتناء أنفس

(١) العامودي والكاظمي: مختصر نشر النور والزهر، ص ٤٩٩؛ أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص ٤٨٠.

(٢) العامودي والكاظمي: مختصر نشر النور والزهر، ص ٢٠٦؛ أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص ١٩٥.

(٣) أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص ٥٠٦.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

الكتب الخطية ونقلها معه إلى هولندا، وكانت معيناً له في تأليف كتابه «صفحات من تاريخ مكة» والذي وصف فيه جغرافية مكة وتاريخها منذ ظهور الإسلام وحتى عام (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)، وفيه وصف شامل للحياة اليومية في مكة وعادات أهلها وسكانها ووصف للحياة العلمية بها^(١).

كما حرص الحجاج والعلماء على اقتناء الكتب النفيسة من مكة أثناء حجهم: فقد كانت مكة بمثابة معرض دائم للكتاب، تميزت بوفرة الكتب ورخص أثمانها وقد أكد هذه الحقيقة الرحالة العالم محمد بن عبد السلام الدرعي في رحلته حيث قال: (وبمكة من الكتب سيما فقه الحنفية العجب، وهي كاسدة جداً لا يكاد يباع منها شيء إلا بالموسم)^(٢).

فكان الكثير من الحجاج من بين أغراض رحلته الحصول على النفيس من الكتب إما بشرائها أو استنساخها، ويعبر الدرعي عن هذا الميل الشديد للكتب فيقول: (ولقد كنت في وجهتي للحرمين مرتين لا حرمني الله من العود. أبحث كل البحث عن الكتب بالحرمين ومصر وطرابلس وتونس...) ^(٣).

كما لاحظ الرحالة بوركهارت هذه الظاهرة، فقال: (وكان الحجاج يبحثون عن النادر من الكتب لشراؤها خاصة الحجاج الفرس والمالايين)^(٤). فقد كانت تلك البلاد يقل فيها أنواع من العلوم، فلمصنفات الواردة من تلك النواحي، تشير إلى علو همهم في علوم المنطق والأصول، فوجدوا بمكة انتشار علوم الحديث والفقه

(١) بن دهيش: التعليم في الحرمين عبر العصور، ص ٣٢١.

(٢) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج، ص ١٤١.

(٣) عبد الخالق أحمدون: الرحلة الحجازية، ج ١، ص ٢٠٠.

(٤) بوركهارت: رحلات في شبه الجزيرة العربية، ص ١٩٦.

والتفسير واللغة وآدابها، فتاقت همهم إلى الاستزادة منها، فأكثرُوا من حضور الدروس، وأكملُوا ذلك بما اقتنوه بالشراء من الكتب المفيدة.

وقد انتشرت محلات بيع الكتب حول المسجد الحرام والمنطقة المحيطة به وانتشرت هذه النوعيات من كتب الحديث والفقه، فيذكر الرحالة الدرعي أن مما وجدته يباع في المسجد الحرام: «صحيح ابن حبان»، و«مشكل الأسماء والآثار» للطحاوي، و«المؤتلف والمختلف» و«التجريد» للذهبي، و«مختصر جامع الأصول والأحاديث المختارة» للضياء المقدسي، وذكر غير ذلك من كتب الحديث^(١)، وقد كان الدرعي مهتماً بشراء الكتب واقتنائها من مكة إذ اشترى نسخه من كتاب «صحيح البخاري» ثمن باهظ^(٢).

كذلك كان الحجاج مولعين بشراء الكتب والمؤلفات المكية التي كانت تدرس في مكة، وإحلالها محل المؤلفات القديمة التي تدرس في مدارس بلادهم.

فيذكر سنوك الذي زار مكة عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) أن التأثير العلمي المكي في بلاد إندونيسيا كان بارزاً وواضحاً من خلال الكتيبات المستعملة في مدارسهم الإسلامية، وأن المؤلفات الأدبية الحديثة للعلماء المكيين كانت تحل محل المؤلفات القديمة التي تدرس في مدارس إندونيسيا حال صدورهما، وتلك الكتب إما ألفها علماء مكيون يحظون باهتمام طلاب العلم في إندونيسيا، أو علماء من وطنهم الأم^(٣).

بل وصلت الكتب المكية أراضي روسيا فيذكر الملا ميرزا عيم ابن دجام الله ميرزا رحيم الطشقندي الذي أدى فريضة الحج في أواخر العهد العثماني أن: (عند

(١) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج، ص ١٤١.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج ٢، ص ٦٧٧.

(٣) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٩٢.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

بوابتي بيت الله الرئيسيتين توجد بازارات للكتب، والكتب والرسوم التي يشتريها الحجاج يوزعونها في شتى أقطار المعمورة، وعندنا في آسيا الوسطى نجد منها الكثير، كما هو معلوم، وذلك في الجوامع وفي منازل السكان^(١).

كما كان بعض علماء مكة يهدي الحجاج شيئاً من كتبه سواء كانت من مقتنيات مكتبته أو من مؤلفاته، فعلى سبيل المثال: أجاز وأهدى أحمد أبي الخير العطار، ثبته المسمى «مشجر الأسانيد» للشيخ عبد الحي الكتاني حين قدم الأخير للحج عام (٣٢٣هـ/١٩٠٥م)^(٢).

(١) يغيم ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص ٣٠٩.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج ٢، ص ٥٨٩.

الخاتمة

ومن خلال هذا التطواف السريع حول دور الحج وأثره على إثراء الحياة العلمية بمكة، توصل البحث إلى عدة نتائج، أهمها:

- تأكدت مكانة مكة العلمية في نفوس المسلمين، من خلال التجمع العلمي بها موسم الحج، حيث يلتقي فيها العلماء من كافة أنحاء العالم الإسلامي، فيتناقشون في المسائل العلمية والمباحث الفقهية، وغيرها من العلوم، مما يثري الساحة العلمية بمكة، وكذلك المكتبة الإسلامية.

- أن التفاعل العلمي مع مسيرة التعليم بمكة من خلال إلقاء العلماء الحجاج الدروس بالمسجد الحرام أو تلقي العلم في أروقه، كانت له آثاره الإيجابية على تنشيط الحياة العلمية بها.

- دعم الحجاج للحركة العلمية بمكة لأهو أكبر دليل على مدى حبهم لهذه البقاع المقدسة، وحرصهم على أن تبقى مكة من عواصم الثقافة الإسلامية التي يُرحل إليها.

أما أهم التوصيات التي يوصي بها البحث فهي:

- تفعيل دور الحج كونه موسم ثقافي يجتمع فيه العلماء من كافة أنحاء العالم الإسلامي، وذلك من خلال عقد الندوات والمحاضرات العلمية والثقافية.

- إبراز دور مكة وما تقدمه من أعمال في كافة الميادين الثقافية والاجتماعية خدمة لضيوف الرحمن.

- فتح مجالات مختلفة أمام الحجاج للمساهمة في الحياة العلمية بمكة، عن طريق تفعيل دور الأوقاف - فإن كان الله وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ أنعم على بلاد الحرمين في العهد السعودي

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

الميمون بأن وفق أولي الأمر بالاهتمام بالتعليم والصرف عليه؛ إلا أن الحجاج في حاجة للتقرب إلى الله بصالح أعمالهم لنيل رضوانه.
وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. والصلاة والسلام على خير البريات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه النجوم الزاهرات.



ثبت المصادر والمراجع

١. أبو سليمان: عبد الوهاب أبراهيم وآخرون. فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٢. العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، ط١، الطائف، نادي الطائف الأدبي: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٣. أبو سليمان: محمود سعيد بن محمد ممدوح. تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع أو «إمتاع أولي النظر ببعض أعيان القرن الرابع عشر»، القاهرة، دار الشباب للطباعة.
٤. أحمدون: عبد الخالق المفضل. الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبد الله محمد ابن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م)، الرياض، بحوث الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية.
٥. الأرناؤوط: محمد. صورة مكة في رحلات الحج للبشائقة، ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ.
٦. الأزهرى: محمد البشير ظافر. طبقات المالكية المسمى «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة»، ط١، القاهرة، دار الأفق العربية: ١٤٢٠هـ.
٧. باسلامة: حسين عبد الله. تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم، جدة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٨. البتنوني: محمد لبيب. الرحلة الحجازية، ط٢، القاهرة، مطبعة الجمالية: ١٣٢٩هـ.
٩. بروكلمان: كارل. تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب: ١٩٩٥م.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

١٠. البسام: عبد الله بن عبد الرحمن. علماء نجد خلال ستة قرون، ط ١، مكة، مكتبة النهضة الحديثة: ١٣٩٨هـ.
١١. بغدادي: عبد الله عبد المجيد. الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، أصولها، جذورها، أولياتها، ط ٢، جدة، دار الشروق: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٢. ابن دهب: عبد اللطيف بن عبد الله. الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، زغوان، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية: ١٩٨٨م.
١٣. الكتائب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ط ٣، بيروت، دار خضر: ١٤١٨هـ.
١٤. المكتبات الخاصة في مكة المكرمة، ط ١، مطبعة النهضة الحديثة.
١٥. المكتبات في مكة المكرمة نشأتها وتطورها عبر العصور، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.
١٦. بوركهارت: جون لويس. رحلات في شبة جزيرة العرب، ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلالي وعبد الرحمن الشيخ، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
١٧. التازي: عبد الهادي. رحلة الرحلات، مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٨. الترغي: عبد الله المرباط. فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر- للهجرة، منهجيتها- تطورها- قيمتها العلمية، ط ١، تطوان، جامعة الملك السعودي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١٩. تقرير عن المدرسة من قبل الدكتور المهندس خالد حمزة المسئول عن (إدارة المشاريع الهندسية لمدرسة دار الفائزين ودار الحديث الخيرية.

٢٠. الجاسر: حمد. أشهر رحلات الحج.
٢١. الجبرقي: عبد الرحمن بن حسن. عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: حسن محمد وآخرون، ط١، القاهرة، لجنة البيان العربي: ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م. وطبعة أخرى: دار الجيل، بيروت.
٢٢. الحافظ: محمد مطيع، ونزار أباطة. علماء دمشق وأعيانها في القرن ١٣هـ، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر: ١٤١٢هـ/١٩٩١م
٢٣. الحسيني: عبد الحي فخر الدين الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»، ط١، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٤. الخطيب: أحمد بن عبد اللطيف. القول التحيف في ترجمة تاريخ حياة أحمد خطيب بن عبد اللطيف، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقم: ١١٦.
٢٥. دار الوثائق المصرية: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، رقم ٦٠، حفظ نوعي ٣٥٩، م ع ٥٦٠٢ عين ٧٢، مخزن تركي ١، وواجب سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، رقم ١١٧، عمومي ٤٥٣١، مخزن ١.
٢٦. الدهلوي: عبد الستار. ترجمة محمد أبي النصر، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم ٢٥٤٢/تراجع.
٢٧. نثر المأثر فيمن أدركت من الأكابر، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، تحت رقم: ٨١٠.
٢٨. رحمت الله: محمد سليم. المدرسة الصولتية، مجلة المنهل، ذو القعدة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

٢٩. رفعت: إبراهيم. مرآة الحرمين، ط١، القاهرة، دار الكتب المصرية: ١٣٤٤هـ.
٣٠. رفيع: محمد عمر. مكة في القرن الرابع عشر- الهجري، ط١، مكة، منشورات نادي مكة الثقافي: ١٤٠١هـ.
٣١. ريزفان: يغم. الحج قبل مئة سنة، ط٢، بيروت، دار التقريب بن المذاهب الإسلامية: ١٤١٤هـ.
٣٢. سالنامه ولاية الحجاز، العدد١، عام ١٣٠١هـ.
٣٣. السنوسي: محمد بن عثمان. الرحلة الحجازية، تحقيق علي الشوفي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع: ١٩٧٨م.
٣٤. شافعي: حسين عبد العزيز حسين. الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني.. دراسة تاريخية حضارية «٩٢٣-١٣٣٤هـ/١٥١٧-١٩١٥م»، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣٥. شاه: رفيق محمد. عطاء التتار، ط١، قزان، دار المعارف، ٢٠٠٣م.
٣٦. صادق: محمد. الرحلات الحجازية، إعداد وتحرير محمد همام فكري.
٣٧. العامودي: محمد سعيد وأحمد علي الكاظمي. مختصر- نشر- النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، ط١، الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م؛ ط٢، جدة، عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٣٨. عبد الجبار: عمر. دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ط١، القاهرة، دار ممفيس، ١٣٧٩هـ.
٣٩. عبد الله: عبد الرحمن صالح. تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ط١، دار الفكر: ١٣٩٩هـ/١٩٧٣م.

٤٠. إجازة علمية من الشيخ عمر بن محمد شطا للشيخ حسن عبد الرحمن العجيمي، مخطوط، كتبة الحرم.
٤١. العيدروس: محيي الدين عبد القادر - النور السافر عن أخبار القرن العاشرة، القاهرة.
٤٢. الفاسي: عبد الكبير. تذكرة المحسنين: موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي.
٤٣. فال: محمد محمد. صفحات من تاريخ الرحالة الموريتانيين لأرض الحرمين، مجلة الحج، ج ٧، س ٥٤، محرم ١٤٢٠هـ/مايو ١٩٩٩م.
٤٤. فخر الدين: رضاء الدين. أترك بلغار وقزان، ط ١، تارستان، مطبعة قزان: ١٩٩٣م.
٤٥. الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلسلات، دار الغرب الإسلامي.
٤٦. المحجي: محمد أمين بن فضل الله. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، دار صادر.
٤٧. محمد ارتضاء العمري: مدارج الإسناد، مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: ١٥٣٦.
٤٨. محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان: روضة الناظرين من مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ط ٢، القاهرة، مطبعة الحلبي: ١٤٠٣هـ.
٤٩. محمد سعيد: محمد سليم. أكبر مجاهد في التاريخ «الشيخ رحمت الله الهندي»، ترجمة: أحمد حجازي السقا، ط ١، القاهرة، مطبعة النهضة العربية: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٥٠. محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم

دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني «٩٢٣-١٣٣٤هـ»

د/ أمال رمضان عبد الحميد

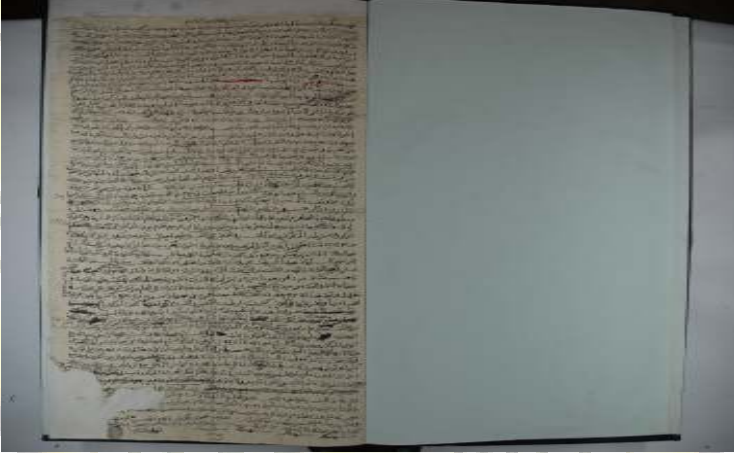
٥١. محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها في القرن ١٣هـ، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٥٢. مخلوف: محمد بن محمد. شجرة النور الزكية في طبقات السادة المالكية، القاهرة: ١٣٢٩هـ.
٥٣. المشاط: حسن بن محمد الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، تحقيق عبد الوهاب أبو سليمان، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٥٤. مغربي: محمد علي. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر. للهجرة، ط١، جدة، تهامة للنشر والتوزيع: ١٩٨١م.
٥٥. النعماني: شبلي. رحلة هندي في بلاد الشرق العربي، ترجمة وتعليق جلال السعيد الحفناوي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
٥٦. نوح: سمير عبد الحميد. أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، وزارة الحج، أبحاث ندوة الحج لعام ١٤٢٣هـ.
٥٧. أدب الحج في القارة الهندية، وزارة الحج، أبحاث ندوة الحج لعام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م.
٥٨. الأدب الأردني الإسلامي، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٥٩. هورخرونيه: سنوك. صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: محمد محمود السرياني، معراج نواب مرزا، الرياض، دار الملك عبد العزيز: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٦٠. الورثياني: الحسين بن محمد. نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، أو «الرحلة الورثيانية» ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.



دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني « ٩٢٣-١٣٣٤هـ »
د / أمال رمضان عبد الحميد



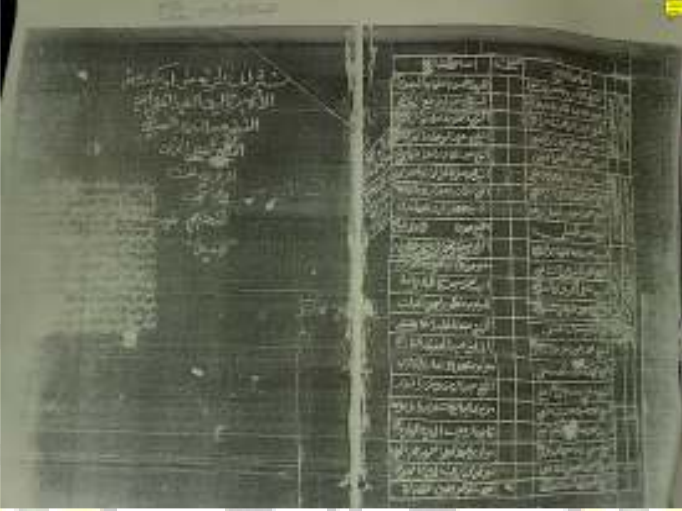
صورة للحرم المكي الشريف فترة الدراسة، يظهر فيها أماكن المقامات الأربعة وأروقته، وأعمدته، حيث اعتاد العلماء إقامة دروسهم في هذه الأماكن



صورة للوصية التي كتبها عبد الستار دهلوي والمتضمنة وقف مكتبه على مكتبة الحرم
المكي الشريف



دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني « ٩٢٣-١٣٣٤هـ »
د/ أمال رمضان عبد الحميد



صورة لثبث الشيخ عبد الستار دهلوي والمتضمن العلماء الذين أخذ عنهم ومنهم من أتى للحج والعمرة



مبنى المدرسة الصولتية قديما في حارة الباب بالقرب من الحرم



دور الحج في إثراء الحياة العلمية بمكة في العصر العثماني « ٩٢٣-١٣٣٤هـ »
د/ أمال رمضان عبد الحميد



مبنى المدرسة الصولتية الجديد في حي الكعكية



صورة لمكتبة الحرم المكي الشريف قديماً